٩

فضل تلاوة القرآن لا سيما في رمضان (١)

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون عباد الله...

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

(١) تخطب هذه الخطبة في الجمعة الثانية من رمضان .

فإن من فضائل شهر رمضان المبارك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اختصه بنزول القرآن فيه فاجتمع في رمضان عدة فضائل، منها: نزول القرآن الكريم، وكان نزوله في أشرف الليالي وأفضلها وهي ليلة القدر.

قال المفسر الكبير والعالم النحرير الشهير بابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاس وَغَيْرُهُ: أَنْزَلَ الله الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ المحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ العِزّة مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً على رسول الله ﷺ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُعَظِّما لِشَأْن لَيْلَة الْقَدْر، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَال الْقُرْآن الْعَظِيم فِيهَا، فَقَالَ: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [القدر: ٣٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَمْدَحُ تَعَالَى شهرَ الصِّيَام مِنْ بَيْن سَائِر الشُّهُور، بِأَن اخْتَارَهُ مِنْ بَيْنهنَّ لِإِنْزَال الْقُرْآن الْعَظِيم فِيه، وَكَمَا اخْتَصَّهُ بِذَلِكَ، قَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ الشَّهْرُ الذي كَانَت الْكُتُبُ الْإِلَهِيَّةُ تَنْزِلُ فِيهِ عَلَى الْأَنْبِيَاء. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل، رَحِمَهُ الله حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِم، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ أَبُو الْعَوَّام، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي المليح، عَنْ وَاثِلَةَ -يَعْنِي ابْنَ الْأَسْقَعِ- أَنَّ رسول الله ﷺ قال: « أُنْزِلَتْ صُحُف إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّل لَيْلَة مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَت التَّوْرَاةُ لستٍّ مَضَين مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأَنْزَلَ الله الْقُرْآنَ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ » اهـ .

﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾:

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان

بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة. فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام. اهـ

فجعله الله هداية للناس من الضلال، وجعله نورا للناس من الظلمات، وجعله شفاء لهم من الأمراض والأسقام الحسية والمعنوية، و شفاء لأمراض القلوب والأبدان، وشفاء من أمراض الشبهات والشهوات .

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ﴾[لقمان:١-٣].

قال المفسر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه وعمل به من خلقه، وقوله: « للمحسنين » وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه. اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ۝٨٢ ﴾ [الإسراء:٨٢].

قال العلامة المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة، فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل. اهـ.

فالقرآن الكريم هداية وموعظة ورحمة وشفاء ورفعة، فإذا أردت يا أيها المسلم أن يرفعك الله فعليك بكتاب الله تلاوة وتدبرًا وعملًا ودعوة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] ، أي :فيه شرفكم ورفعتكم إن كنتم من أهله، وسوف يسألكم عنه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٤٤].

ويرفع اللّه بالقرآن أقواماً ويضع به آخرين :

فقد روى الإمام مسلم أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِث، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟، قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ قَالَ: « **إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ** » .

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : معناه أن هذا القرآن يأخذه أناس يتلونه ويقرؤونه فمنهم من يرفعه الله به في الدنيا والآخرة، فمن هذا؟ ومن هذا ؟، من عمل بهذا القرآن تصديقًا بأخباره وتنفيذًا لأوامره واجتناباً لنواهيه واهتداءً بهديه وتخلقا بما جاء به من أخلاق فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة.. وأما الذين يضعهم الله به فقوم يقرؤونه ويحسنون قراءته لكنهم يستكبرون عنه والعياذ بالله لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه يستكبرون عملًا ويجحدونه خبرا، إذا جاءهم شيء عن القرآن صاروا -والعياذ بالله- يشككون في ذلك ولا يؤمنون .. مرتابون -والعياذ الله- مع أنهم يقرؤون القرآن وفي الأحكام

يستكبرون لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه هؤلاء والعياذ بالله يضعهم الله في الدنيا والآخرة ولا بد أن يكون أمرهم خسارًا ، حتى وإن دانت لهم الدنيا وتزخرفت فإنما هو استدراج ومآلهم إلى الخسارة. اهـ.

والقرآن عز وشرف لمن كان من أهله :

قال المفسر البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٤٤] : أي: شرف لك ولقومك. اهـ

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: فخر لكم، ومنقبة جليلة، ونعمة لا يقادر قدرها، ولا يعرف وصفها، ويذكركم أيضًا ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم عليه، ويذكركم الشر ويرهبكم عنه، ﴿ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ عنه، هل قمتم به فارتفعتم وانتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم، وكفرا منكم بهذه النعمة؟. اهـ .

وسيسأل كل عبد في قبره عن هذا الكتاب العظيم، فهو من ضمن أسئلة منكر ونكير في القبر: وذلك أنهما يسألان العبد: « من ربك ؟من نبيك ؟ما دينك؟ماعلمك؟ » كماعند الإمام أحمد في حديث البراء بن عازب الطويل أن منكر ونكير يسألان العبد عن كتاب الله فيقولان له : « ...وماعلمك؟ » وفي رواية : « ماعملك؟، فالمؤمن يقول : « كتاب الله قرأته وآمنت به وصدقت» .

وروى مسلم عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « والقرآن حجة لك أو عليك» .

فحري بك أيها المسلم أن تتمسك بكتابٍ هذا شأنه، عظمه الله وأعلى شأنه، واختاره من بين سائر الكتب وجعله مهيمنا عليها، فليكن نصب عينيك وقدوتك وإمامك ومنهجك وقائدك، فلا تصدر إلا عن أمره ولا تنتهِ إلا بنهيه، فاقرأه واتله وتدبره واعمل به واحفظه وادعُ إليه، فإذا كنت كذلك

فأبشر بالخير والفلاح والنصر والتمكين، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

والعكس بالعكس، من أعرض عنه وجعله وراء ظهره قاده إلى المهالك وكان عاقبة أمره خسرًا.

فقد روى ابن حبان عنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، قَالَ : «**الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَمَا حِلٌ مُصَدَّقٌ ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّار** » .

وهو الكتاب الذي لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ منْ خَلْفه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢ ﴾ [فصلت : ٤١ - ٤٢] .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه : ١٢٣ - ١٢٦].

قال كثير من المفسرين: الهدى والذكر في هاتين الآيتين هما: القرآن الكريم.

وهو المحفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، وهو المعجزة الخالدة، فينبغي أن يزداد اهتمامك أيها المسلم بهذا القرآن الكريم، لاسيما في شهر رمضان المبارك، فقد كان بعض السلف يقرأ القرآن في ثلاثة أيام، وبعضهم يقرؤه في يوم وليلة، فقد ثبت عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قرأه في ليلة ، وكان نبيك ﷺ يلقاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في رمضان فيدارسه القرآن كل ليلة ويعرض عليه القرآن في كل عام مرة، وفي العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين.

فقد روى البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ الله

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدَ النَّاس، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ» .

فتلاوة القرآن الكريم له فضل عظيم، لأنه كلام رب العالمين، وهو حبله المتين، و الذكر الحكيم، من تمسك به نجى، ومن اتبعه فلا يضل ولا يشقى، ومن قرأه فله بكل حرف حسنة إلى عشر أمثالها.

فقد روى الترمذي عن عَبْد الله بْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَاب الله فَلَهُ به حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» .

من أهل العلم من يرى وقفه على ابن مسعود، لكن له حكم الرفع.

فأهل القرآن الحافظون له العاملون به القارئون له هم أهل الله وخاصته.

فقد روى النسائي عَنْ أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ الله عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاس. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: « هُمْ أَهْلُ الْقُرْآن، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ** » .

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : أي خاصته وأحباؤه من خلقه الداخلين في حزبه ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ اهـ.

وأهل القرآن هم خير الناس وأكرمهم على الله، لشرف ما يحملون، إذا كانوا به يعملون ، وإليه يدعون، فقد روى البخاري عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ** » ، وفي رواية: « **إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه**» .

فمن جمع بين العلم والتعليم فهو خير الناس بنص هذا الحديث وقد حاز الخير كله.

وقراءة القرآن من أفضل الأعمال وأكثرها أجرا لما ثبت عند الإمام مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» .ومعنى كوماوين:أي عظيمتا السنام.

وتضاعف الأجور لصاحب القرآن ويرفع به في الجنة درجات، فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: يُقَالُ، يَعْنِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ،: «**اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**» .

بمعنى أن الجنة درجات فبقدر القراءة من آيات الله تكون الدرجة في الجنة، فيرتفع القارئ درجات في الجنة بقدر قراءته، وقد قال بعض أهل العلم :إن عدد درجات الجنة على عدد أيات القرآن الكريم، فمن قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة ومن قرأ نصفه كان على النصف من درج الجنة ومن قرأ القرآن كله كان في عاليه، لم يكن فوقه أحد إلا نبي أوصديق أو شهيد.اهـ ذكره ابن بطال والخطابي رحمهما الله تعالى.

ويأتي القرآن يوم القيامة يشفع لأصحابه لما روى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عن أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ،**

فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةَ» . قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ الله عَنْهُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ.

ومعنى: « **غَيَايَتَانِ**» : أي سحابة أو غشاية تظل الإنسان. و«**فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ**» : أي قطيعان وجماعتان . « **تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا** » : أي تدفعان عنه الجحيم والزبانية.

وخلاصة معنى الحديث أن القرآن الكريم يشفع لصاحبه لا سيما البقرة وآل عمران وأن ثوابهما يأتي كالغمامتين، وسميتا بالزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.

فكيف لو اجتمع مع تلاوة القرآن الصيام؟، أو كانت التلاوة في شهر رمضان؟ ، فإن الأجر يكون أعظم والفضل فيه أكثر، فقد روى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**» .

وهذه الشفاعة تكون في حق من كان من أهله تلاوة وعملًا وتدبرًا ودعوة، بغير جفا ولا مغالاة ، ولا هجر ولا رياء، لما ثبت عند ابن حبان عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: « **الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**» .

وفي رواية: « **مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ**» .

ويفسره حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: « **الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» .

قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يكون القرآن لك إذا توصلت به إلى الله وقمت بواجب هذا القرآن العظيم ، من التصديق بالأخبار ، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي ، وتعظيمه واحترامه، وأما إن كان العكس ، أهنت القرآن وهجرته لفظًا ومعنى وعملًا ، ولم تقم بواجبه فإنه يكون شاهدًا عليك يوم القيامة ، ولم يذكر النبي ﷺ مرتبة بين المرتبتين لم يقل: لا لك ولا عليك ، لأنه لا بد أن يكون إما لك أو عليك على كل حال، فنسأل الله أن يجعله لنا جميعا حجة نهتدي به في الدنيا والآخرة ، إنه جواد كريم. اهـ

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى، وعلى آله وصحابته الذين ارتضى، وعلى أتباعه ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فيقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[فاطر:٢٩-٣٠].

وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التالين لكتابه العاملين به بالتجارة الرابحة والأجور العظيمة والمزيد من فضله.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، مِنْ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَالْإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَشْرُوعَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا، ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أَيْ: يَرْجُونَ ثَوَابًا عِنْدَ اللهِ لَا بُدَّ مِنْ حُصُولِهِ.

كَمَا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ عِنْدَ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: « **إِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ** » ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أَيْ: لِيُوَفِّيَهُمْ ثَوَابَ مَا فَعَلُوهُ وَيُضَاعِفَهُ لَهُمْ بِزِيَادَاتٍ لَمْ تَخْطُرْ لَهُمْ. اهـ.

وروى الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ** » .

فمن قام بالقرآن سلم من الغفلة وكان من القانتين، أو كتب من المقنطرين.

فقد روى ابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ حَافَظَ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِائَةَ آيَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، أَوْ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ**» .

وعند أبي داود عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْمُقَنْطِرِينَ** » .

والقنطار: هو الأموال الكثيرة، والمقصود منه هو الكناية عن كثرة الأجر.

والتلاوة التي ينتفع بها العبد هي التلاوة مع حضور القلب وتدبر المعاني، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

قال المفسر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب... وقال: ومن سبل ذلك التدبر، والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم. اهـ

أي من الطرق لمعرفة معاني القرآن وتدبره :النظر في كتب التفسير المعتمدة في تفسير القرآن الكريم .

فمن لا يتدبر القرآن لا يخرج بكبير نفع ولا فائدة، ولهذا توعد الله الذين لا يتدبرون القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:٢٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع. اهـ.

فإن عدم تدبره نوع من هجره، ومن هجره ترك قراءته، وعدم الاستماع له، وترك العمل به، وعدم التحاكم إليه وعدم تعلمه وحفظه، فكل هذا من هجر القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان:٣٠] ، يشكو نبينا ﷺ إلى ربه من هجر قومه للقرآن.

قال المفسر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصغُون لِلْقُرْآنِ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٦] ، وَكَانُوا إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْرِه، حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ. فَهَذَا مِنْ هُجْرَانِه، وَتَرْكُ علْمِه وَحفْظِه أَيْضًا مِنْ هُجْرَانِه، وَتَرْكُ الْإِيمَانِ بِه وَتَصْدِيقِه مِنْ هُجْرَانِه، وَتَرْكُ تَدَبُّرِه وَتَفَهُّمِه مِنْ هُجْرَانِه، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِه وَامْتِثَالِ أَوَامِرِه وَاجْتِنَابِ زَوَاجِرِه مِنْ هُجْرَانِه، والعدولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِه -مَنْ شِعْرٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ غَيْرِه -مِنْ هُجْرَانِه، فَنَسْأَلُ اللهَ الكريمَ المنانَ القادرَ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يُخَلِّصَنَا مِمَّا يُسْخطه، وَيَسْتَعْمِلَنَا فِيمَا يُرْضِيه، مِنْ حِفْظِ كِتَابِه وَفَهْمِه، وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَاهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وأطرافَ النَّهَارِ، عَلَى الوجه الذي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ. اهـ

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا ، وجِلاء أحزاننا ،

وذهاب همومنا، اللهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله حجة لنا لا علينا، اللهم ارزقنا الإيمان به والعمل به ، والتصديق بأخباره والامتثال لأوامره، والاعتبار بأمثاله، والاجتناب لنواهيه والاتعاظ بقصصه، والإيمان بمتشابهه، اللهم اجعله شافعا لنا يوم القيامة، وارفع لنا به الدرجات العالية، برحمتك يا أرحم الراحمين.